**المحاضرة التاسعة**

**الإبداع عند ابن حزم**

**ابن حزم الأندلسي:**

هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد الفارسي من قرية لبلة، من مواليد شهر رمضان من عام (384ه) في يوم الأربعاء، سكن قرطبة في (ربض الزاهرة). تركها بعد الفتنة التي حلّت بمدينة (قرطبة) سنة (404ه/ 1013م) إلى (المرية) ثمّ (بلنسية)، راكضا خلف حلم بناء البيت الأموي من جديد، لكنه غادرها إلى (شاطبة) سنة (417ه/ 1026م)، بعد يأسه من تحقق الحلم، توفي في شهر شعبان عام (456ه).

ويُعدّ ابن حزم من العلماء القلائل الذين جمعوا بين قوة الفكر ورقة الأدب والفن. وقد ظهر ذلك في كثيرٍ من آثاره الباقية، فعلى سبيل المثال:  مؤلَّفُه ([طوق الحمامة](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B7%D9%88%D9%82_%D8%A7%D9%84%D8%AD%D9%85%D8%A7%D9%85%D8%A9)) الذي جمع بين الإبداع النثري والشعري في موضوع الأُلفة والأُلّاف، بل هو أهم كتبه على الإطلاق في هذا الميدان. إضافة إلى ما يحتويه من جدة في الموضوع، وتحليلات نفسية أخلاقية عميقة، مع منهجية مبتكرة في العرض والتحليل.

ويمتاز أسلوبه النثري في هذا المؤلف الفريد بالجمع بين دقة الوصف والتحليل، ومتانة السبك والبعد عن التكلّف والصنعة، إذ كان يأخذ على الكثير من معاصريه الصنعة التي كانوا يكتبون بها، أو ينظمون بها أشعارهم.

قال عنه تلميذه [الحميدي](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%AD%D9%85%D9%8A%D8%AF%D9%8A): ''وكان له في الآداب والشعر نفَس واسع، وباع طويل. وما رأيت من يقول الشعر على البديهة أسرع منه، وشعره كثير، وقد جمعناه على حروف المعجم''.

وقال تلميذه [صاعد بن أحمد](http://ar.wikipedia.org/w/index.php?title=%D8%B5%D8%A7%D8%B9%D8%AF_%D8%A8%D9%86_%D8%A3%D8%AD%D9%85%D8%AF&action=edit&redlink=1) أبو القاسم: ''كان ابن حزم أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام وأوسعهم، مع توسعه في علم اللسان والبلاغة والشعر والسيَر والأخبار''.

وقال عنه [ابن العماد الحنبلي](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D8%A8%D9%86_%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%85%D8%A7%D8%AF_%D8%A7%D9%84%D8%AD%D9%86%D8%A8%D9%84%D9%8A): ''كان إليه المنتهى في الذكاء وحدة الذهن وسعة العلم بالكتاب والسنة والمذاهب والملل والنحل والعربية والآداب والمنطق والشعر مع الصدق والديانة والحشمة والسؤدد والرياسة والثروة وكثرة الكتب''.

وقال [الذهبي](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%B0%D9%87%D8%A8%D9%8A): ''وَكَانَ قَدْ مَهَرَ أَوَّلاً فِي الْأَدَبِ وَالْأَخْبَارِ وَالشِّعْرِ''.

وقال[ابن كثير](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D8%A8%D9%86_%D9%83%D8%AB%D9%8A%D8%B1_%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%85%D8%B4%D9%82%D9%8A): ''وَكَانَ أديباً طبيباً شاعراً فصيحاً''.

**ابن حزم الناقد:**

لقد شهد الذين كتبوا عن ابن حزم له بالشاعرية والإبداع الأدبي، على الرغم من أنّ شهرته بالفقه الشرعي كانت أوسع نطاقاً، كما أشاد له النقاد والقراء بنظرته الثاقبة للشعر وللإبداع.

وقد تميز ابن حزم نقديا في عدة قضايا أبرزها موقفه من الشعر ومن وظيفته، حيث انطلق من مبدأ دينيٍّ أخلاقيٍّ، فقَبِل بعض الأغراض الشعرية، ورفَض أخرى رفضاً قاطعاً، كشعر الصعلكة والحروب. قال في رسالته (مراتب العلوم): "وإن كان مع ما ذكرنا رواية شيء من الشِّعر، فلا يكن إلا من الأشعار التي فيها الحكم والخير؛ كأشعار حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبدالله بن رواحة، رضي الله عنهم، وكشعر صالح بن عبدالقدوس ونحوه؛ فإنها نِعْمَ العون على تنبيه النفس، وينبغي أن يُتجنب من الشعر أربعة أضرب:

**أحدها:**الأغزال والرقيق؛ فإنها تحث على الصبابة، وتدعو إلى الفتنة، وتصرف النفس إلى الخلاعة واللذَّات.

**والضرب الثاني:**الأشعار المقولة في التصعلك وذكر الحروب؛ فإن هذه أشعار تثير الفتن، وتهون الجنايات والأحوال الشنيعة والشره إلى الظلم وسفك الدماء.

**والضرب الثالث:** أشعار التغرُّب وصفات المفاوز والبِيد؛ فإنها تسهِّل التحول والتغرب.

**والضرب الرابع:** الهجاء؛ فإن هذا الضرب أفسدُ الضروبِ لطالبه.

ثم صنفانِ من الشِّعر لا ينهى عنهما نهيًا تامًّا ولا يحض عليها، بل هما عندنا من المباح المكروه، وهما: المدح والرثاء، فأما إباحتهما؛ فلأن فيهما ذكر فضائل الموت والممدوح، وأما كراهتنا لهما؛ فإن أكثر ما في هذين النوعين الكذب، ولا خير في الكذب".

كما يظهر استناده على المعيار الأخلاقي في موقفه من مغالاة الشعراء ومبالغاتهم، فلكل شيء حد -حسب تعبيره في (طوق الحمامة)-، فوصف الشعراء لنحول المحبين، وتشبيه الدموع بالأمطار التي تروي السفار، وعدم النوم البتة، وانقطاع الغذاء جملة… يعدّ ذلك كله كذبا لا وجه له، لذلك فهو يكره الكذب حتى في الشعر، فالأمور إذا خرجت عن حد المعقول لا تُصدق، ولا تجد لها التأثير المطلوب في النفوس، وعليه دعا إلى الاقتصاد في استعمال المجازات والاستعارات والتشبيهات، وكل ضروب الصنعة، فهو يحب التوسط والاعتدال في كل شيء، وكأنه لا يساير المقولة المشهورة (أعذب الشعر أكذبه).

**وقد** خصَّص ابن حزم للبلاغة بابًا مختصرًا في كتابه (التقريب لحد المنطق)، **ويمكن تلخيص أهمِّ آرائه البلاغية من خلال هذا الباب في النقاط الآتية:**

**1- شروط تحقق البلاغة:**

يرى ابن حزم أن البلاغةَ تتحقَّق بتوفر شرطين: الوضوح، والبراءة من الاختصار المخل، والتطويل الممل، فيقول: "البلاغة ما فهِمه العامي كفهم الخاصي، وكان بلفظ يتنبَّه له العامي؛ لأنه لا عهد له بمثل نظمه ومعناه، واستوعب المرادَ كله، ولم يَزِدْ فيه ما ليس منه، ولا حذف مما يُحتاج إليه شيئًا، وقرب على المخاطب به فهمه لوضوحه وتقريبه ما بَعُدَ، وسهل عليه حفظه لقصره وسهولة ألفاظه، وملاك ذلك الاختصار لمن يفهم، والشرح لمن لا يفهم".

**2- مراتب البلاغة هي:**

أ- بلاغة تتكوَّن من الألفاظ المألوفة عند العامة؛ كبلاغةِ الجاحظ.

ب- بلاغة تتكوَّن من الألفاظ غير المألوفة عند العامة؛ كبلاغةِ، سهل بن هارون، والحسن البصري.

ج- بلاغة تتركَّب من المرتبة الأولى والثانية؛ كبلاغةِ ابن المقفع (وربما تركبت من بلاغة الخطب ممتزجة ببلاغة الرسائل؛ كما فعل ابن دراج).

د- بلاغة عادية (لعلها النثر العادي الذي يراد به الإفهام فحسب).

**3- دعائم تحصيل البلاغة:**

يرى ابن حزم أن قيام البلاغة لا يكون إلا على ركيزتين؛ هما: الملَكة، وسَعَة الاطلاع والتوسع في العلوم، فيقول: "ولا بد لمن أراد علم البلاغة مِن أن يضرب في جميع العلوم التي قدمنا قبل هذا بنصيب، وأكثر هذا القرآن والحديث والأخبار وكتب عمرو بن بحر، ويكون مع ذلك مطبوعًا فيه، وإلا لم يكن بليغًا، والطبع لا ينفع مع عدم التوسع في العلوم".

**المصادر والمراجع:**

1- ابن حزم: رسائل ابن حزم: طوق الحمامة في الألفة والإلاف، تح إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 1987.

2- المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، م2.

3- عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب.

4- إحسان عباس: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط 4، 1983م.

5- مصطفى عليان: تيارات النقد الأدبي في الأندلس في القرن الخامس الهجري، مؤسسة الرسالة.

6- ابن حزم الأندلسي: التقريب لحد المنطق، دار مكتبة الحياة – بيروت.

7- ابن حزم الأندلسي: الفِصَل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي، القاهرة.

8- إحسان عباس: تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة)، دار الثقافة، بيروت، ط1، 1960م.